المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 1 العدد: 1 ديسمبر 2021 ص ص 61-75
ر ت م د (ISSN): 2800-1184
تاريخ الإرسال (2021/03/27) تاريخ القبول (2021/9/4) تاريخ النشر (2021/12/29)

نشاط قبائل الشعانبة على الحدود الطرابلسية الجزائرية مطلع القرن العشرين و موقف الإدارتين العثمانية و الفرنسية منه من خلال وثائق الأرشيف العثماني

The Activitiy of the Chaamba Tribes on the Algerian Tripolitan Borders at the Beginning of the Twentieth Century and the Position of the Ottoman and French Administrations regarding it through the Documents of the Ottoman Archives

لكحل الشيخ
قسم التاريخ، جامعة غرداية
البريد الإلكتروني : lakehal7272@gmail.com

ملخص :

يتناول الباحث في هذه الورقة البحثية إشكالية نشاط قبائل الشعانبة على الحدود الطرابلسية الجزائرية مطلع القرن العشرين وموقف الإدارتين العثمانية والفرنسية منه. وقد اعتمد الباحث في دراسة هذه الإشكالية على ترجمة ودراسة بعض الوثائق التي اطلع عليها في الأرشيف العثماني.

وقد توصل الباحث في نهاية هذه الدراسة إلى أن نشاط قبائل الشعانبة خلال الفترة موضوع الدرس لم يكن محل رضى لا من الفرنسيين، ولا من العثمانيين. وأن الأعمال العسكرية التي كانت تقوم قبائل الشعانبة على الحدود الطرابلسية إنما كانت حلقة من حلقات المقاومة ضد المستعمر الفرنسي ولم تكن تلك الجماعات على علاقة بالسلطة العثمانية وفي طرابلس ولا تعمل لصالحها.

الكلمات المفتاحية :

شعانبة؛ السلطة العثمانية؛ فرنسا؛ أرشيف.

Abstract:

In this research paper, the researcher deals with the problem of the activity of the Chaamba tribes on the Tripolitan-Algerian borders at the beginning of the twentieth century and the position of the Ottoman and French administrations regarding it. In studying this problem, the researcher relied on translating and studying some of the documents who had seen in the Ottoman Archives.

At the end, The researcher concluded that the activity of the Chaamba tribes, during the period under study, was not acceptable to the French or the Ottomans. And that the military actions of this tribes on the Tripoli border, was a cycle of resistance against the French colonialist, and those groups were not related to the Ottoman authority in Tripoli, and did not work in its favor.

Keywords:
Chaamba; Ottoman authorities; France; Archives.

تمهيد:

إن احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830، كان إيذانا بنهاية العهد العثماني فيها الذي استمر لأكثر من ثلاثة قرون، لكن سعيها للتوسع في الجنوب الجزائري خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر جوبه بمقاومة شرسة من قبائل الصحراء الجزائرية، من أشهرهم قبائل الشعانبة التي كان يمتد نشاطها وراء داخل الحدود الطرابلسية الجزائرية.

ولم تجد تلك القبائل بدا من استخدام الحدود الطرابلسية الجزائرية لمقاومة التوسع الإستعماري ومنعه من الإستقرار والتمكن أواخر القرن 19 ومطلع القرن ال20. كما أن أطماع المستعمر الفرنسي للسيطرة على خطوط التجارة الصحراوية قد تعدت حدود الجزائر لتصل إلى افريقيا جنوب الصحراء والصحراء الطرابلسية؛ مستغلة في ذلك ضعف قبضة السلطنة العثمانية على هذه المناطق من جهة، ومطاردتها للقبائل المتمردة من جهة أخرى.

فكيف كان نشاط قبائل الشعانبة على الحدود الطرابلسية الجزائرية مطلع القرن العشرين؟ وما موقف الإدارتين العثمانية والفرنسية منه؟

1. وثائق الأرشيف العثماني

إن هذه الورقة البحثية مستندة على دراسة لستة وثائق جلبناها من الأرشيف العثماني في إسطنبول؛ وهي في أغلبها عبارة عن مراسلات بين حكام طرابلس الغرب ووزارة الداخلية العثمانية أو حتى تلك الصادرة من الديوان الهمايوني ووزير الخارجية. وتغطي الفترة من 30 مارس 1902 إلى 2 فيفري 1906. سنعمل في هذا المبحث على عرض مضمون هذه الوثائق ونترك تحليل مضمونها إلى المبحث اللاحق:

الوثيقة BEO 1469/110148-1:

هي مراسلة رقم 372 صادرة من محمد رئيس الديوان مستشار الدولة العلية إلى وزارة الخارجية بتاريخ 30 مارس 1902.

مضمون الوثيقة يشير إلى قيام حوالي 200 شعانبيا بمهاجمة قافلة تجارية لتجار غدامسيين بمنطقة تبعد عن غدامس بمسافة تقدر بمسافة عشرة أيام أسفرت عن سقوط قتيل وآخر جريح وتم نهب حمولة من الأمتعة منقولة بواسطة 34 دابة، كما قاموا بمهاجمة ناقلي الأمتعة من مهاجري جراملة نحو طرابلس بواسطة البنادق وقاموا بنهب الأمتعة والحيوانات التابعة لهم.

وتشير الرسالة إلى ورود مراسلة في نفس الموضوع من طرف باشا طرابلس إلى وزارة الداخلية، وتحمل رقم 372 بتاريخ 5 أفريل 1900 وأحيلت على الديوان قصد إدراجها ضمن ما يتعلق بأمور الجزائر وبالتالي يرجى الجواب[1].

الوثيقة DH-MKT 822/74-1 :

هي مراسلة رقم 153 صادرة من باشا طرابلس الغرب إلى وزارة الداخلية العثمانية بتاريخ 30 مارس 1902.

مضمون الوثيقة هي تشير إلى طلب مشايخ عربان قضاء الشاطئ الواقعة بسنجق فزان للتصدي لعمليات التعدي والنهب والإغارة على مواشي وحيوانات من قبل قبيلة الشعانبة منذ ثلاثة أو أربعة سنوات. تم الشروع في تباحث المسألة المذكورة، في

[1] محمد رئيس الديوان العثماني: مراسلة إلى وزير الخارجية العثماني، رقم 372، استنبول 1902/03/30، الأرشيف العثماني BEO 1469/110148-1.

الحقيقة قبيلة الشعانبة هذه دائما ما تقوم بتجاوزات وفي حالة أنه لا يتم التصدي لها سيقوم عربان الشواطئ بمهاجمة الشعانبة واسترداد ما نهبوه وأخذوه منهم بالجبر والقوة.

وفي هذا الخصوص جاء إعلان من طرف وكيل متصرف فزان قصد عرضه على الباب العالي لمناقشته وكتابة الجواب قصد إيجاد حل قبل قيام عربان الشاطئ بالرد على هجوم الشعانبة وحدوث الكارثة. يفهم من الأخبار الواردة علينا أنه أثناء مرور الشعانبة وعند وصولهم إلى غدامس تمت مهاجمة قافلة داخل حدود الدولة العثمانية ونهب وسلب أمتعتهم، وقد قام قنصل الدولة الفرنسية المقيم هناك شفاهيا بالتعبير على أن مثل هذه التجاوزات غير جائزة وطلب منا إخبار الباب العالي بالأمر قصد اتخاذ التدابير الضرورية للتصدي لمثل هذه الأحداث، وبالتالي نرجو إصدار فرمان في الأمر[2].

الوثيقة DH-MKT 822/74-4 :

مراسلة صادرة من عبد الرحمان دفتر دار وكيل باشا طرابلس الغرب إلى وزارة الداخلية العثمانية بتاريخ 30 مارس 1902.

مضمون الوثيقة هي تشير إلى مضمون المراسلات الواردة من الحكومة الفرنسية والتي تحمل تواريخ 29 مارس 1902 والتفصيلات المؤرخة بتاريخ 25 جانفي 1902 و في 30 أفريل 1902 و في 27 مارس من السنة المذكورة والتي تتضمن قيام قبيلة الشعانبة بنهب القوافل التجارية التي كانت تحمل البضائع من السودان إلى تونس، وقد وصلت عمليات النهب والخسائر إلى غاية غدامس وذلك إثر تجاوز الخط (الحدود) الفاصل، وذلك حسب الوثائق والصور الموجودة لدى قبيلة إزقير.

وجاء في تلك المراسلات أن قبائل الهقار تمكنوا من استمالة قبيلة إزقير، وعندما كانت قبيلة قوغاسي التابعة لقبيلة أزقير في أحد المناطق الحدودية معلنة الطاعة للفرنسيين قامت مجموعة تتكون من 60 شعانبي بمهاجمة بيوت السواريس ونهب دوار الفوغاسي والغدامسي، وحسب المراسلة المذكورة فقد تم تعقب المجموعة المذكورة

[2] باشا طرابلس الغرب: مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، رقم 153، طرابلس الغرب 1902/03/30، الأرشيف العثماني DH-MKT 822/74-1.

حيث تم التمكن من استرجاع جزء من المنهوبات، ولكن من المحتمل أن تتكرر عمليات النهب لذلك يستوجب اتخاذ التدابير اللازمة[3].

الوثيقة DH-MKT 1040/62-1 :

مراسلة صادرة من عبد الرحمان دفتر دار وكيل باشا طرابلس الغرب إلى وزارة الداخلية العثمانية بتاريخ 29 ديسمبر 1902.

مضمون الوثيقة هي تشير إلى ازدياد اهتمام الفرنسيين بمنطقة تلة السنين الواقعة بين غات وغدامس وقد شرعوا في إقامة مؤسسات كبيرة، وقد قامت قبائل الشعانبة من القبائل الجزائرية بالنزوح إلى دواخل المناطق الإدارية بالولاية بتاريخ 15 نوفمبر 1902 وهو ما تسبب في فراغ المنطقة من السكان، ونهب حيواناتهم، وقد تم استردادهم. كما قامت مجموعة من موجورله وعددهم حوالي 200 شخص بمهاجمة غدامس بتاريخ 13 نوفمبر 1902، كما قامت مجموعة أخرى يتجاوز عددها ال 400 شخص بمهاجمة شواطئ قضا موجورله. الأسلحة المستخدمة من قبائل الشعانبة هي أسلحة تعود إلى مصنع الجيش (الفرنسي)، وغرض الرسالة هو توضيح أن الإدارة التونسية والجزائرية تتعامل معهم بتسامح[4].

الوثيقة DH-MKT 1040/62-3:

صادرة من وزارة الداخلية العثمانية تحت رقم 36 بتاريخ 2 فيفري 1906.

مضمون الوثيقة هي تشير إلى ورود مراسلة من السفارة الفرنسية في إسطنبول إلى وزارة الخارجية العثمانية رقم 13 بتاريخ 25 جانفي 1906، تحمل خبر مهاجمة قبيلة الشعانبة مناطق داخل ولاية طرابلس، وبعد التحقيق في القضية عرضت الأمر على وزير

[3] عبد الرحمان دفتر دار وكيل باشا طرابلس الغرب: مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، طرابلس الغرب 03/30/ 1902، الأرشيف العثماني DH-MKT 822/74-4.

[4] عبد الرحمان دفتر دار وكيل باشا طرابلس الغرب: مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، طرابلس الغرب 12/29/ 1902، الأرشيف العثماني DH-MKT 1040/62-1.

الخارجية طالبة التصدي لنشاط الشعانبة، ودعت إلى سن فرمان من السلطان العثماني لوضع حد لهذه التجاوزات[5].

الوثيقة DH-MKT 1040/62-5 :

مراسلة صادرة من وزارة الداخلية العثمانية إلى باشا طرابلس الغرب تحت رقم 631/8 بتاريخ 15 فيفري 1903.

مضمون الوثيقة يشير إلى اهتمام الفرنسيين بمنطقة تل السنين الواقعة بين غات وغدامس وقد شرعوا في إقامة منشآت بالمحل المذكور، وقد قامت قبائل الشعانبة الجزائرية بالدخول إلى المنطقة الإدارية والقيام ببعض التجاوزات، ولكن الإدارة التونسية والجزائرية أظهرتا تسامحا معهم. تبعا لهذه الأحداث قام وزير الخارجية الفرنسي بإخبار وزارة الخارجية العثمانية بالأمر عبر البريد السريع بتاريخ 29 جانفي 1903 طالبا التحقيق في الأحداث والعمل على عدم تكرار ما حدث وعرض الأمر على السلطان العثماني[6].

2. نشاط قبائل الشعانبة

قبائل الشعانبة: هم قبيل عربي ينحدرون على أرجح الروايات من علاق بن عوف، من سليم بن منصور، من العدنانية[7]. وقد فدوا إلى شمال إفريقيا إبان التغريبة الهلالية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري[8].

بينما ذكر بعض المؤرخين أن أجداد الشعانبة قد وفدوا على شمال افريقيا بعد الفتح الاسلامي؛ فيذهب الأب فيلار (Vellard) إلى أن أصول الشعانبة تنحدر من أبناء

---

[5] وزير الداخلية العثماني: مراسلة، رقم 36، إستنبول 1906/02/02، الأرشيف العثماني DH-MKT 1040/62-3.

[6] وزير الداخلية العثماني: مراسلة إلى باشا طرابلس الغرب، رقم 631/8، إستنبول 1903/02/15، الأرشيف العثماني DH-MKT 1040/62-5.

[7] **العربي (إسماعيل)** : *الصحراء الكبرى وشواطئها*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، ص 163.

[8] **سليمان (محمد الطيب)**: *موسوعة القبائل العربية*، 4 أجزاء، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997، ج1، ص1007.

إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب[9]. في حين يرى بوفيل (Bovill) أن قبائل الشعانبة المستقرين في شمال الصحراء تعتبر القبائل الصحراوية الوحيدة المنحدرة من سلالة عربية دخلت شمال افريقيا من الشرق بعد الفتح العربي، أما الجماعات الأخرى الناطقة بالعربية فهي منحدرة من أصول بربرية تأثرت على نحو بالغ بالنفوذ العربي[10].

أما عن أصل التسمية، فنجد أن أغلب الروايات المتواترة تفيد بأن أصل تسمية الشعانبة هي تركيبة لكلمتي "شعاع نبا" أو "شعاع بان" أي شعاع ظهر؛ وذلك أنهم كانوا قديما يشعلون النار ويبقونها مشعة ليلا، فلما يرى عابر السبيل شعاع تلك النار يقول فرحا: هذا شعاع بان أو شعاع نبأ. كما أنهم كانوا يلجؤون إلى حث التراب نهارا للدلالة على مكان تواجدهم، لعل تائها في تلك الربوع الخوالي أو قاصدا أو عابر سبيل يهتدي إليهم فينزل بينهم، وهذا دليل على خصلة كانوا يتميزون بها وهي كرم الضيافة؛ ومن ثم غدت هذه الصفة ملازمة لهم إلى اليوم. وبفعل التداول تداخلت الكلمتان "شعاع" و"نبأ" لتصبح كلمة واحدة وهي "الشعانبة"[11].

بعد تكاثر أعداد الشعانبة، أصبح وادي متليلي لا يسعهم فذهب قسم منهم إلى المنيعة وقسم آخر إلى ورقلة وبذلك تشكلت شبه كونفدرالية تشمل كل الشعانبة المنتشرين في المناطق الصحراوية وتضم خمس مجموعات رئيسية هي : شعانبة متليلي "البرازقة"، شعانبة المنيعة "المواضي"، شعانبة ورقلة "بوروبة"، شعانبة واد سوف، وشعانبة العرق الغربي الكبير؛ الذين كانوا مقسمين إلى شعانبة قورارة وشعانبة بني عباس.

ويرى رينييه (Régnier) أنه خلال خمسة قرون من سنة 1350 حتى 1850 كان الشعانبة متمركزين في كامل الواحات الرئيسية في الجنوب الجزائري تقريبا، وحتى أبعد

[9] P. Vellard : Le Sahara Mission et Histoire, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 0007000144, f 29.

[10] **بوفيل (و.) وهاليت (روبن)** : *تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير*، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1988، ص 99.

[11] **الشيخ (لكحل)** : *احتلال مدينة متليلي الشعانبة : الأسباب الوقائع والنتائج*، في الواحات، جامعة غرداية، ع 21، ديسمبر 2014، ص 35.

في أقصى الجنوب[12]. ويذكر صاحب "المنهل العذب" أن بلاد الشعانبة كانت تمتد حتى حدود طرابلس الغرب[13].

لقد عرف قبيل الشعانبة تطورا بدخول عناصر جديدة إليه؛ مثل الشرفة والزوى والمرابطين وبني مرزوق وغيرهم وتكاثر عدده فانتشر في أنحاء الصحراء، وتشكلت كونفدرالية تضم الشعانبة المتوزعين في مختلف مناطق الصحراء، بل يمكننا أن نتحدث عن شعب الشعانبة وليس قبيلة فقط كما يقول كوناي[14]. وبعد تفرق الشعانبة في هذه المناطق أصبحت لهم نفوذ واسع في المجال التجاري والعسكري في كل مناطق شمال الصحراء الممتدة من غات[15] وغدامس[16] شرقا إلى الساورة[17] وتوات غربا ومن متليلي شمالا إلى عين صالح جنوبا[18].

---

[12] **RÉGNIER (Yves)** : *Les Chaamba sous le régime français*, Paris, Les Editions Domat-Montchrestien, 1933, p. 28.

[13] **النائب (أحمد بك)**: *المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب*، تح: طاهر أحمد الزاوي، جزآن، طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، 1961، ج1، ص 9.

[14] **CAUNEILLE (A.)** : *Les Chaanba, leur nomadisme*, Paris, Editions du C. N. R. S, 1968, p. 22.

[15] غات (Ghat) : مدينة في قلب الصحراء الليبية الغربية على مشارف الحدود الليبية الجزائرية، وتتبع المدينة إقليم غات وهي عاصمته. سكان المدينة من الشعانبة ومن الطوارق. ويذكر الحشائشي أن اقليم غات به ثلاث مدن هي غات وتونين وبلاد العتارة، ويصف مدينة غات بأنها مدينة تجارية بامتياز حيث في كل سنة يدخلها ما ينيف عن الثلاثين ألف جمل من السودان الأقصى والأدنى، وأن قرشها يسوي فرنكا في غيرها من المدن. أنظر: محمد بن عثمان الحشائشي: *رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895*، تح: علي مصطفى المصراتي، بيروت، دار لبنان، 1965، ص 112.

[16] غدامس: مدينة تقع في الصحراء الليبية على بعد 630 كلم جنوب غرب طرابلس، وعلى بعد 15 كلم من الحدود الجزائرية، و8 كلم من الحدود التونسية، مركز تجاري صحراوي هام؛ حيث تقع على إحدى أهم الطرق التجارية العابرة للصحراء، بها نسبة معتبرة من الشعانبة. أنظر: **الخوند (مسعود)** : *الموسوعة التاريخية الجغرافية*، 20 جزءا، بيروت، الشركة العالمية للموسوعات، 2004، ج18، ص ص 77-78.

[17] الساورة (Saoura): وادي يوجد في منطقة بني عباس على بعد 250 كلم جنوب بشار. أنظر: **شرفي (عاشور)** : *معلمة الجزائر*، تر: عبد الكريم أوزغلة وآخرون، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2009، ص 802.

[18] **COYNE (A.)** : *Une Ghazzia dans le Grand Sahara*, Alger, Adolphe Jourdan Libraire-Éditeur, 1881, p. 10.

كما أن توسع الإستعمار الفرنسي في الصحراء أدى إلى توحدهم جميعا في مواجهته؛ فقد طبع التنسيق والتوحد أغلب جولات الصراع مع الفرنسيين في كل المقاومات والثورات التي عرفتها المنطقة خلال القرن التاسع عشر؛ كما شهد بذلك الفرنسيون أنفسهم[19].

نشاطهم:

كما ذكرنا سابقا؛ فقد كان الشعانبة مقاومين للاستعمار الفرنسي طيلة القرن 19، لكن مع بداية القرن 20 تمكن الفرنسيون من القضاء على مقاومة قبائل الشعانبة في الداخل؛ أي في متليلي المنيعة وورقلة، لكن بقي شعانبة الأطراف ينشطون في المناطق الحدودية للجزائر على الحدود الغربية مع المغرب؛ أين استمرت غاراتهم على المراكز والأهداف الفرنسية من وراء الحدود المغربية حتى سنة 1908 تاريخ وفاة بوعمامة[20]، بينما استمر نشاطهم على الحدود الطرابلسية الشمالية والجنوبية حتى بعد الحرب العالمية الأولى. وهو ما يستشف من مراسلة حاكم الجزائر كومبون Combon إلى رئيس المجلس وزير الزراعة الفرنسي، المؤرخة بيوم 16 مارس 1897، والتي يحذر فيها من تجمع عشرات الخيام من المتمردين الشعانبة في منطقة الدرج والتي تبعد ب 100 كلم غرب غدامس[21].

وتشير الوثائق التي بين أيدينا إلى أن نشاط قبائل الشعانبة قد استمر على الحدود الطرابلسية الجزائرية منذ أواخر القرن 19 كما تشير إليه المراسلة رقم 153 الصادرة من باشا طرابلس الغرب إلى وزارة الداخلية العثمانية والمؤرخة بتاريخ 30 مارس 1902؛ حيث تؤكد أن هجمات الشعانبة على عربان قضاء الشاطئ في منطقة فزان كانت مستمرة منذ أكثر من ثلاثة سنوات مما دعى مشايخ المنطقة إلى إبلاغ باشا طرابلس

رقم 4. وانظر: **العربي (إسماعيل)**: المرجع السابق، ص 176 وانظر أيضا الخريطة في الملحق.

[19] **D'ARMAGNAC** : *Le Mzab et les pays Chaamba*, Alger, Braconnier Editions, 1934, p. 126.

[20] **الشيخ (لكحل)** : *مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي الفترة ما بين 1851-1908*، متليلي، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، 2019، ص ص 270-278.

[21] Jules Combon: Au sujet d'un groupe de dissidents, correspondance à Mr le président du conseil du Ministre de l'Agriculture, N674, Alger 16/03/1897, ANOM F80 1684, f1.

بسخطهم من تكرر هذه العمليات وطلبهم من تدخل الدولة العلية[22]. واستمرت هذه الهجمات داخل ولاية طرابلس حتى جانفي1906؛ حسب مضمون المراسلة الصادرة من وزارة الداخلية العثمانية تحت رقم 36 بتاريخ 2 فيفري 1906[23].

اما المراكز والمناطق والجماعات المستهدفة من هذه الهجمات فهي متنوعة؛ فمن ناحية المناطق، فيبدو أن مختلف نقاط الخط الحدودي بين الجزائر وطرابلس الغرب كان مستهدفة من غدامس شمالا إلى غات جنوبا مرورا بتماسنين، وحتى إلى مناطق أعمق في فزان، أما من ناحية الجماعات المستهدفة فهي متنوعة أيضا من الغدامسيين والتوارق وعرب الشاطى وغيرهم.

وان كانت الوثائق تصف هذه العمليات بالإجرامية من سطو ونهب للبضائع والأمتعة وغيرها، إلا أن مراميها تبدو أكثر من أن تحصر في هذا المجال. وإلا فكيف تحتج عليها فرنسا بقوة لدى الباب العالي، بل وتحرك قواتها في بعض الأحيان لمطاردة هذه المجموعات المسلحة[24].

وربما يكون دافع هذه القبائل هو الضغط على سلطات الإحتلال الفرنسي من خلال تعطيل خط التجارة الصحراوي بين غدامس وغات، وهو الخط الذي كانت فرنسا تسعى للاستيلاء عليه وتحويله إلى ممتلكاتها، وذلك بتجديد التحالف مع توارق الآسجر[25]. والدليل على ذلك ما ورد في احدى الوثائق ان قبيلة فوغاسي من توارق الآسجر لما أعلنت طاعتها للفرنسيين تعرضت لهجوم عنيف من مجموعة متكونة من 60 شعانبيا، خلال شهر مارس1902[26].

---

[22] باشا طرابلس الغرب: مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، رقم 153، طرابلس الغرب 30/03/ 1902، الأرشيف العثماني1-822/74 DH-MKT.

[23] وزير الداخلية العثماني: مراسلة، رقم 36، إسطنبول 1906/02/02، الأرشيف العثماني DH-MKT 1040/62-3.

[24] **تشايجي (عبد الرحمان)** : *الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى*، تر: علي اعزازي، طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1982، ص 179.

[25] **تشايجي (عبد الرحمان)** : المرجع السابق، ص245.

[26] عبد الرحمان دفتر دار وكيل باشا طرابلس الغرب: مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، طرابلس الغرب 30/03/ 1902، الأرشيف العثماني 4-822/74 DH-MKT.

3. موقف الإدارتين العثمانية والفرنسية

1.3- الإدارة العثمانية:

الحقيقة ان الادارة العثمانية سواء في طرابلس أو في إستنبول لم تكن ترى في الأعمال التي كانت تقوم بها هذه القبائل أعمال عدائية ضدها؛ إلا ما كانت تتلقاه من احتجاجات من بعض القبائل والجماعات التي تأثرت من هذه الأعمال، وربما كانت ترى فيها ضغطا على السلطات الإستعمارية الفرنسية واستنزافا لمجهودها الحربي واضرارا بمصالحها و أطماعها في السيطرة على خط التجارة غدامس غات السودان، وكذلك مراميها الاستعمارية في التنفذ في منطقة فزان والجنوب الليبي.

لكن في المقابل فإن ردود فعل الفرنسيين وملاحقة هذه القبائل بغرض تأديبها كان يشكل هاجسا للدولة العثمانية وتخوفا من إتخاذ الفرنسيين لهذه الأعمال ذريعة للتدخل واحتلال بعض المناطق في ولاية طرابلس، وهو ما أفادت به المراسلة الصادرة من وزارة الداخلية العثمانية إلى باشا طرابلس الغرب تحت رقم 631/8 بتاريخ 15فيفري 1903، والتي تشير إلى قيام الفرنسيين ببناء منشئات في منطقة تامسنين (أو تل السنين)، وشكواهم من قيام قبائل الشعانبة بالهجوم عليهم خلال شهر جانفي 1903[27].

ورغم الشكاوى الكثيرة والمشددة التي كان يوجهها الدبلوماسيون الفرنسيون إلى السلطان العثماني طالبين منه وضع حد لهذه الهجمات، إلا أننا لم نعثر في الوثائق التي بين أيدينا ما يؤكد استجابة الباب العالي وإصدار فرمانات ضد الشعانبة إرضاء للفرنسيين.

وحتى ان كانت هذه الأعمال تصب في أغلبها في مصلحة الدولة العثمانية في صراعها مع الفرنسيين للسيطرة على الطريق التجاري غدامس السودان، والجنوب الطرابلسي، إلا أننا لم نعثر على دليل يشير إلى دور للعثمانيين في مساعدة أو تسليح تلك القبائل.

[27] وزير الداخلية العثماني: مراسلة إلى باشا طرابلس الغرب، رقم 631/8، إستنبول 1903/02/15، الأرشيف العثماني DH-MKT 1040/62-5.

ويبدو أن أغلب النشاطات التي كانت تقوم قبائل الشعانبة على الحدود الطرابلسية إنما كانت حلقة من حلقات المقاومة ضد المستعمر الفرنسي ولم تكن تلك الجماعات على علاقة بالسلطة العثمانية في طرابلس ولا تعمل لصالحها.

2.3- الإدارة الفرنسية:

إن الإنتفاضات التي شهدتها المناطق الجنوبية للجزائر ضد الإستعمار الفرنسي قد جعلت أغلب القبائل الجزائرية تنظم إلى هذه المقاومات، وهذا ما كان عليه حال قبائل الشعانبة بمختلف فروعها والذين انضموا لكل الثورات الشعبية التي عرفتها مناطقهم أو المناطق القريبة منهم. ولذلك فإن العلاقة بين الشعانبة والفرنسيين الغزاة قد صبغت بطابع العداء، ولم تنجح الإدارة الفرنسية في عقد أي معاهدة مع أي فريق أو فصيل من الشعانبة[28].

وبعد القضاء على ثورة بوشوشة وأولاد سيدي الشيخ، وتراجع زخم ثورة بوعمامة بعد لجوئه إلى المغرب، أواخر القرن التاسع عشر، ظل الشعانبة ينشطون على أطراف الجزائر الشرقية والغربية والجنوبية، محاولين مقاومة التوسع الاستعماري ومنعه من الاستقرار أو التمدد.

وفي هذا الإطار تدخل هذه الأعمال التي كانت تقوم بها قبائل الشعانبة على الحدود الطرابلسية، والتي لم تكن محل رضى من الفرنسيين الذين كانوا يطمحون إلى تأمين الحدود، بل والتوسع على حساب أراضي ولاية طرابلس الغرب.

إن قراءة في هذه الوثائق تبين مدى التذمر لدى الفرنسيين؛ وذلك من خلال المراسلات والاحتجاجات التي كانوا يرسلونها إلى حكام طرابلس او إلى المسؤولين في إسطنبول، وصل بهم حتى إلى مطالبة السلطان العثماني بإصدار فرمانات للحد من هذه الأعمال[29].

وقد كانت فرنسا تطمح إلى توسيع نفوذها داخل إيالة طرابلس بغية السيطرة على الطريق التجاري غدامس السودان فكانت ترسل البعثات الإستكشافية وحتى

---

[28] **الشيخ (لكحل)** : المرجع السابق، ص ص 201-203.

[29] عبد الرحمان دفتر دار وكيل باشا طرابلس الغرب: مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، طرابلس الغرب 30/ 03/ 1902، الأرشيف العثماني DH-MKT 822/74-4.

بعض الفرق العسكرية، مثلما كانت عليه بعثة فرنوند فورو(Fernand Foureau) سنة 1896م[30]. ولم تكن فرنسا تكتفي برسائل الإحتجاج، بل كانت في كثير من الأحيان تحرك قواتها لمطارة هذه المجموعات المسلحة، وإن كانت هذه العمليات أصبحت محدودة بعد عقد اتفاقية مع إيطاليا في ديسمبر 1900 حول النفوذ في ولاية طرابلس، ولما كانت تلقى احتجاجا من قبل حكومة إيطاليا كانت تتذرع بأن تلك القوات التي تصل قرب غدامس ماهي إلا قوات من الشرطة تلاحق المجرمين وقطاع الطرق[31].

من ذلك ما قام به العريف بين حين قاد فرسانا من قوم بني ثور وقام بملاحقة مهاجمين شعانبة حتى غدامس سنة 1904[32].

إستنتاج عام:

من خلال دراستنا للوثائق السالفة الذكر يمكننا أن نخلص إلى الإستنتاجات التالية:

ان قبائل الشعانبة قاموا بعدة نشاطات على الحدود الطرابلسية الجزائرية، وحتى داخل منطقة فزان، في مطلع القرن العشرين؛ تمثلت أساسا في مهاجمة الأهداف الفرنسية والجماعات المتعاونة أو المتحالفة معها.

وأن هذه العمليات وان كانت تصب في مصلحة الدولة العثمانية في صراعها مع الفرنسيين للسيطرة على خط التجارة غدامس غات السودان إلا انها لم يكن لها دور فيها ولم تقم بمساعدة تلك القبائل.

كما أن هذه العمليات لم تكن محل رضى من الفرنسيين الذين كانوا يطمحون إلى تأمين الحدود بل والتوسع على حساب أراضي ولاية طرابلس الغرب.

ويمكن القول أن العمليات العسكرية التي كانت تقوم قبائل الشعانبة على الحدود الطرابلسية إنما كانت حلقة من حلقات المقاومة ضد المستعمر الفرنسي، ولم تكن تلك الجماعات على علاقة بالسلطة العثمانية في طرابلس.

---

[30] **الدجاني (أحمد صدقي)** : *ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي*، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1971، ص 323.

[31] **تشايجي (عبد الرحمان)** : المرجع السابق، ص 181.

[32] **CAUNEILLE (A.)** : *op.cit.*, p. 279.

قائمة المصادروالمراجع :

-**الخوند (مسعود)** : *الموسوعة التاريخية الجغرافية*، 20 جزءا، بيروت، الشركة العالمية للموسوعات، 2004.

-باشا طرابلس الغرب : مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، رقم 153، طرابلس الغرب 03/30/ 1902، الأرشيف العثماني1-DH-MKT 822/74.

-**بوفيل (و.) وهاليت (روبين)** : *تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير*، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1988.

-**تشايجي (عبد الرحمان)** : *الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى*، تر: علي اعزازي، طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1982، ص 179.

-**الحشائشي (محمد بن عثمان)** : *رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895* ، تح: علي مصطفى المصراتي، بيروت، دار لبنان، 1965.

-**الدجاني (أحمد صدقي)** : *ليبيا قبيل الإحتلال الإيطالي*، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1971.

-**سليمان (محمد الطيب)** :*موسوعة القبائل العربية*، 4 أجزاء، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997.

-**شرفي (عاشور)** : *معلمة الجزائر*، تر: عبد الكريم أوزغلة وآخرون، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2009.

-**الشيخ (لكحل)** : *احتلال مدينة متليلي الشعانبة: الأسباب الوقائع والنتائج*، في الواحات، جامعة غرداية، ع 21، ديسمبر 2014.

-**الشيخ (لكحل)** : *مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي الفترة ما بين 1851-1908* ، متليلي، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، 2019.

-عبد الرحمان دفتر دار وكيل باشا طرابلس الغرب : مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، طرابلس الغرب 12/29/ 1902، الأرشيف العثماني1-DH-MKT 1040/62.

-عبد الرحمان دفتر دار وكيل باشا طرابلس الغرب : مراسلة إلى وزير الداخلية العثماني، طرابلس الغرب 03/30/ 1902، الأرشيف العثماني 4-DH-MKT 822/74.

-**العربي (إسماعيل)** : *الصحراء الكبرى وشواطئها*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.

-محمد رئيس الديوان العثماني : مراسلة إلى وزير الخارجية العثماني، رقم 372، إستنبول 30/03/1902، الأرشيف العثماني BEO 1469/110148-1.

-**النائب (أحمد بك)**: *المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب*، تح: طاهر أحمد الزاوي، جزآن، طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، 1961.

-وزير الداخلية العثماني : مراسلة إلى باشا طرابلس الغرب، رقم 631/8، إستنبول 1903/02/15، الأرشيف العثماني DH-MKT 1040/62-5.

-وزير الداخلية العثماني : مراسلة، رقم 36، إستنبول 1906/02/02، الأرشيف العثماني DH-MKT 1040/62-3.

-CAUNEILLE (A.) : *Les Chaanbas, leur nomadisme*, Paris, Edition du C. N. R. S., 1968.

-COMBON (J.) : *Au sujet d'un groupe de dissidents, correspondance à Mr le président du conseil du Ministre de l'Agriculture*, N674, Alger 16/03/1897, ANOM F80 1684.

-VELLARD (P.) : *Le Sahara Mission et Histoire*, Manus., CCDS - Ghardaïa, Cote: 0007000144.

-RÉGNIER (Yves) : *Les Chaamba sous le régime français*, Paris, Les Editions Domat-Montchrestien, 1933.